

الدرس الأول : نشأة وتطور الفخارمدخل : نشأة وتطور الفخار

يعتبر الفخار من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان، بعد صناعة الأسلحة وصناعة الألبسة الجلدية والنباتية التي تساعده في المقاومة من أجل البقاء والتي يمكن اعتبارها أولى بدايات الحضارات الإنسانية .

يمكن اعتبار صناعة الألبسة والأسلحة من الصناعات الحتمية والضرورية بينما تعتبر أولى الصناعات الفخارية "صناعة فنية راقية" رغم بدائيتها ورداءتها، كون الفخاري يبذل جهد كبير للحصول على آنية فخارية قابلة للاستعمال، إضافة إلى الوقت الطويل الذي تستغرقه مراحل تصنيع تلك الأواني.

نظرا للأصناف والأنماط العديدة للأواني الفخارية وكذا الزخارف المختلفة التي تزين بها، فكثيرا ما نجد علم الفخاريات مدمج ضمن تاريخ الفن.

أصل التسمية :

الفخار باللغة العربية نقصد به المصنوعات الطينية أو الصلصالية التي تعرضت للحرق قصد التخلص من كل جزيئات الماء الموجودة فيها، ولا تطلق تسمية فخار على الأواني الطينية التي تعرضت لعملية التجفيف مهما طالت مدتها، لذلك تسمى عملية حرق الأواني الفخارية عادة بعملية التفخير .

أما باللغة الفرنسية فنجد كلمتين تؤديان تقريبا نفس المعنى وهما كلمة (Poterie) وكلمة (Céramique) فأما الأولى فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (Potum) التي تعني إناء أو قذح الشرب، أما الثانية فهي مشتقة من الكلمة اليونانية (keramos) (κέραμος) التي تعني قرن حيوان، ف قديما كانت تستعمل قرون الحيوانات للشرب، ثم قلد شكل القرن وصنعت أواني بمواد أخرى كالأواني الفضية التي تظهر في بعض المشاهد الفسيفسائية على شكل قرن للحيوانات ينتهي برأس ثور أو كلب أو خنزير...من هنا يمكن القول أن كلمة سيراميك كانت تطلق في بداية الأمر على الأواني الفخارية

الدرس الأول: نشأة وتطور الفخار

المخصصة للشرب ثم عممت على كل المصنوعات الطينية التي تعرضت للحرق، بما في ذلك القرميد والأجر.

نشأة وتطور الفخار:

بالرغم من أن بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين المشوي قد أرخت بالعصر الحجري القديم الأعلى إلا أن أول ظهور الفخار بمفهومه الفني يعود للنصف الثاني من العصر الحجري الحديث حوالي 6000 ق.م نتيجة استقرار الإنسان وممارسته الزراعة والتدجين، وحاجته إلى الأواني والأوعية لتخزين الفائض من الإنتاج والاستفادة منه لاحقاً. أقدم الأواني الفخارية عثر عليها بالشرق الأدنى بموقعي حسونة في شمال العراق وأوغاريت (رأس شمرا) في شمالي سوريا. ومع زيادة الحاجة إلى الأواني الفخارية ذات الوظائف المتعددة بدأ انتشاره وتطورت الطرق التقنية لتصنيعه تبعاً لتغير الظروف الاجتماعية للإنسان في مواطن الاستقرار الجديدة من قرى ومستوطنات ومدن، وكذلك مع بداية العصور التاريخية أي حوالي 3000 ق.م ومنذ تلك الفترة أصبح الفخار يلبي حاجات إنسانية متعددة، سواء كانت منزلية أو جنائزية.

وقد عرف الفخار منذ ظهوره تطورا مستمرا من جميع الجوانب، كطريقة الصنع، وأنواع المثبتات والزخارف وغيرها. وسنتعرف على أنواع الفخاريات التي عرفت في العالم القديم، خاصة تلك التي عثر على بقاياها بشمال أفريقيا، كالتى صنعت هناك (بالفخار المحلي) أو الأواني التي انتقلت إلى المنطقة بفعل تعاقد الحضارات عليها فأصبحت تصنع هناك بعدما أجدت الصبغة الأفريقية، إضافة إلى تلك التي استوردت خلال الفترات القديمة، كل تلك الأنواع سنعود للتعرف عليها خلال محاور السداسي السادس من هذا المقياس، لكن لا بأس في تقديم موجز عن أقدم فخار عرفه الإنسان ألا وهو الفخار النيوليتي.

الدرس الأول: نشأة وتطور الفخارفخار العصر الحجري الحديث :

العصر الحجري الحديث منحصر بين 8500 و4500 قبل الميلاد، قسمه العلماء إلى مرحلتين رئيسيتين، العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري 8500 – 6000 قبل الميلاد، والعصر الحجري الحديث الفخاري 6000 – 4500 قبل الميلاد يمثل المرحلة الثانية من العصر الحجري الحديث وتميز هذا العصر في المشرق بتعرف الإنسان على الفخار وكيفية تصنيعه واستخدامه، ينقسم هذا العصر إلى مرحلتين فرعيتين: العصر الحجري الحديث الفخاري "أ" والعصر الحجري الحديث الفخاري "ب".

العصر الحجري الحديث الفخاري "أ": يرجع إلى منتصف الألف السادس قبل الميلاد، وينسب إلى الطبقة التاسعة في أريحا (تل السلطان) والطبقة الثانية ب في المنحطة في جنوب بلاد الشام، يمتاز فخارها بالأواني البسيطة مثل الصحون والجرار البيضوية الشكل، وهي أواني مصنعة باليد من عجينة خشنة كثيرة الشوائب كالكش، و تحمل زخارف بأشكال هندسية كالمثلثات، أو بخطوط بسيطة مستقيمة أو متعرجة.

العصر الحجري الحديث الفخاري "ب": بدأت هذه المرحلة في نهاية الألف الخامس قبل الميلاد كما تدل على ذلك الطبقة الثامنة في أريحا (تل السلطان) والطبقة الثانية "أ" في المنحطة في جنوب بلاد الشام، تحسنت في هذه الفترة تقنية صنع الأواني الفخارية وتنوعت أشكالها وأصبحت العجينة أكثر نقاء وصلابة وقل استعمال القش فيها وأصبحت أحسن حرقاً بالرغم من تصنيعها يدوياً.

قسم فخار العصر الحجري الحديث إلى ستة مجموعات من الناحية الزخرفية وهي:

- ✓ أواني بسيطة .
- ✓ أواني مغطاة بطلاء: غطيت واجهة الاواني بعجينة داكنة مصقولة.
- ✓ أواني تحمل التحزيز بواسطة أظافر اليد على شكل أشرطة وصفوف.
- ✓ أواني ذات بطانة حمراء مصقولة (عرف هذا النوع من الزخرفة في أريحا).
- ✓ أواني ذات بطانة حمراء مصقولة مع تغطية البطانة بألوان مختلفة كالبنى المحمر والبنى المصفر.

الدرس الأول : نشأة وتطور الفخار

أهم المراجع :

- Alexandre BRONGNIART, Traité des arts Céramiques ou des Poteries, 3 tomes,  
Paris 1844.
- BALFET, lexique et typologie des Poteries.
- Cours d'Histoire et Archéologie des techniques, Université Paris I
- Daniel RHODES, La Poterie, les Formes.